بيت القرآن

نافذة على الحضارة الإسلامية

استطلاع

■■ من وحي الحضارة الإسلامية وتراثها الأصيل : نبعت فكرة « بيت القرآن » في دولة البحرين : من أجل الحفاظ على أغلى مقدساتنا ، ووضعه في منزلته اللائقة .. وبدأ المشروع بجمع ما تيسّر من المصاحف الكريمة من مختلف العصور ـ المخطوط منها والمطبوع ـ ويضم إلى جانب قاعات عرض هذه الثروة النادرة ، مكتبة شاملة جامعة للمخطوطات والمطبوعات الإسلامية ، ومسجدًا ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .. ليصبح ـ بإذن الله ـ رمزًا للحضارة الإسلامية والعربية ، ومعرضًا لفنونها الأصيلة ، ومقصدًا لطلاب العلم والمعرفة ..

وفي محاولة للتعرف على المشروع وأبعاده ، وما تم إنجازه من المراحل قمنا بجولة في البحرين : التاريخ والحاضر ، واستعرضنا من خلالها بعض نماذج من الوحدات القرآنية النادرة ، واللوحات الخطية البارزة من مختلف العصور ، كعلامات بارزة في تاريخ نشر الدعوة .. في مسار تطور فن الخط العربي ، أحد المكونات الأساسية للفن الإسلامي .. والتقينا كذلك مع صاحب فكرة المشروع والمشرف على تنفيذه ، ضمن اللجنة التأسيسية المختصة : الدكتور المهندس عبد اللطيف كانو ، في حوار حول « بيت القرآن » ■■

الخـط المكّي المدني :

كانت إحدى رسائل النبي ﷺ ـ التسع ـ التي بعث بها إلى ملوك وأباطرة العصر وأمراء شبه الجزيرة العربية ، رسالة موجهة إلى « المنذر بن ساوى » أمير البحرين ، حملها الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، في حوالي المحرم سنة سبع للهجرة (مايو [أيار] ٦٢٨م) ، وهكذا عرفت منطقة البحرين أول مخطوطة عن الإسلام .. وهي مكوّنة من (٤١) كلمة ـ بما فيها الختم النبوي الشريف ـ دقيقة التعبير ، عميقة المحتوى شاملة المعنى وواضحة المعالم ، تدعو « **المنذر بن ساوى** » وقومه ـ أهل البحرين ـ إلى الإسلام ، تبدأ **بالبسملة** وتختم **بالتأكيد على ظهور الدين الإسلامي الحنيف** .. وهذا هو نصها الشريف :

« بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى :
سلام على من اتّبع الهدى .. أما بعد :
فإني أدعوك إلى الإسلام ، فأسلم تسلم
يجعل الله لك ما تحت يدك ، واعلم أنّ
ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ..
محمد رسول الله »

ومن المعروف أنَّ الرسائل النبوية الشريفة قد كتبها عدة أشخاص ، بالخط المعروف لدى العرب آنذاك ـ وهو الخط المكي المدني ـ وجاءت خالية من النقط والإعجام بجميع أنواعه ، وخطّت على الرق المصقول ، ولم يدخل عليها التلوين أو التذهيب أو الزخارف الجمالية التي كانت تستعمل بالنسبة لرسائل الملوك والقادة ، وجميعها بدأت بالبسملة وانتهت بخاتم رسول الله ﷺ المستدير ، ومع أنه مضى أكثر من أربعة عشر قرنًا على كتابة هذه الرسائل إلاَّ أنَّ المتأمّل المدقق يمكن أن يقرأها بسهولة بعد أن يدخل عليها التنقيط لفك إعجام الحروف ، فهي في الواقع مثل أي كتاب أو رسالة تكتب في الوقت الحاضر بالخط العربي الاعتيادي ..

يقول **الدكتور صلاح الدين المنجد** في كتابه : « **دراسات في تاريخ الخط العربي** » إنه قد وصل إلينا أنموذجان من الخط المكيّ المدني المائل ، الأول تحتفظ به مكتبة الفاتيكان (رقم ١٦٠٥) ، وكان المستشرق « **ليفي دلافيدا** » قد نشره وكتب عنه وقرر أنه يعود إلى القرن الأول الهجري ، وفيه قطعة من سورة «**هود**» ، ولعلّه من أقدم المصاحف المكتوبة على الرق الموجودة في العالم .. والأنموذج الثاني موجود بالمتحف البريطاني في مصحف قديم كتب على الرق ، وهو أقدم مخطوطة في المتحف .. ويشير

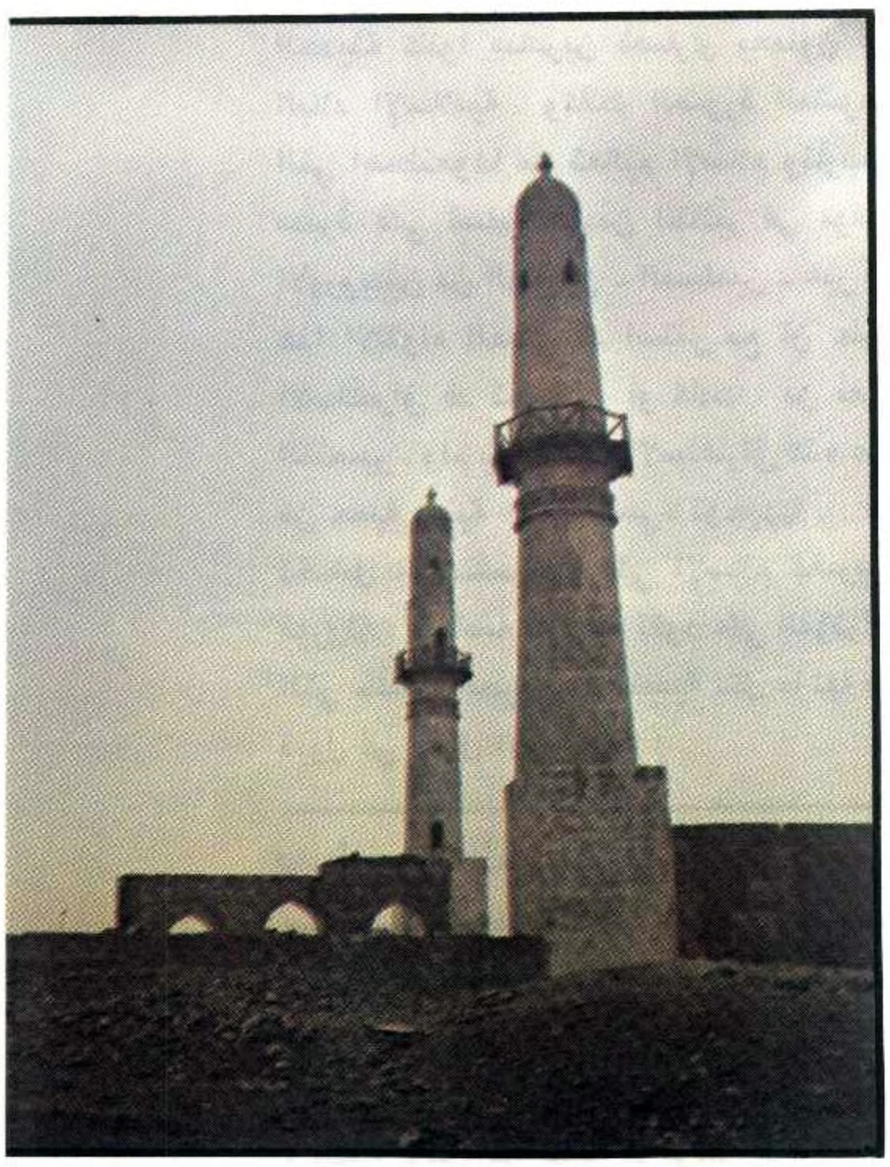

■ مسجد « الخميس » .. يعتقد أنّه أول مسجد أقيم في البحرين ، وأنَّ الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي هو الذي بناه ■

■ يقوم الأسلوب المعماري في بناء « بيت القرآن » على أسس العمارة الإسلامية المتطورة ■

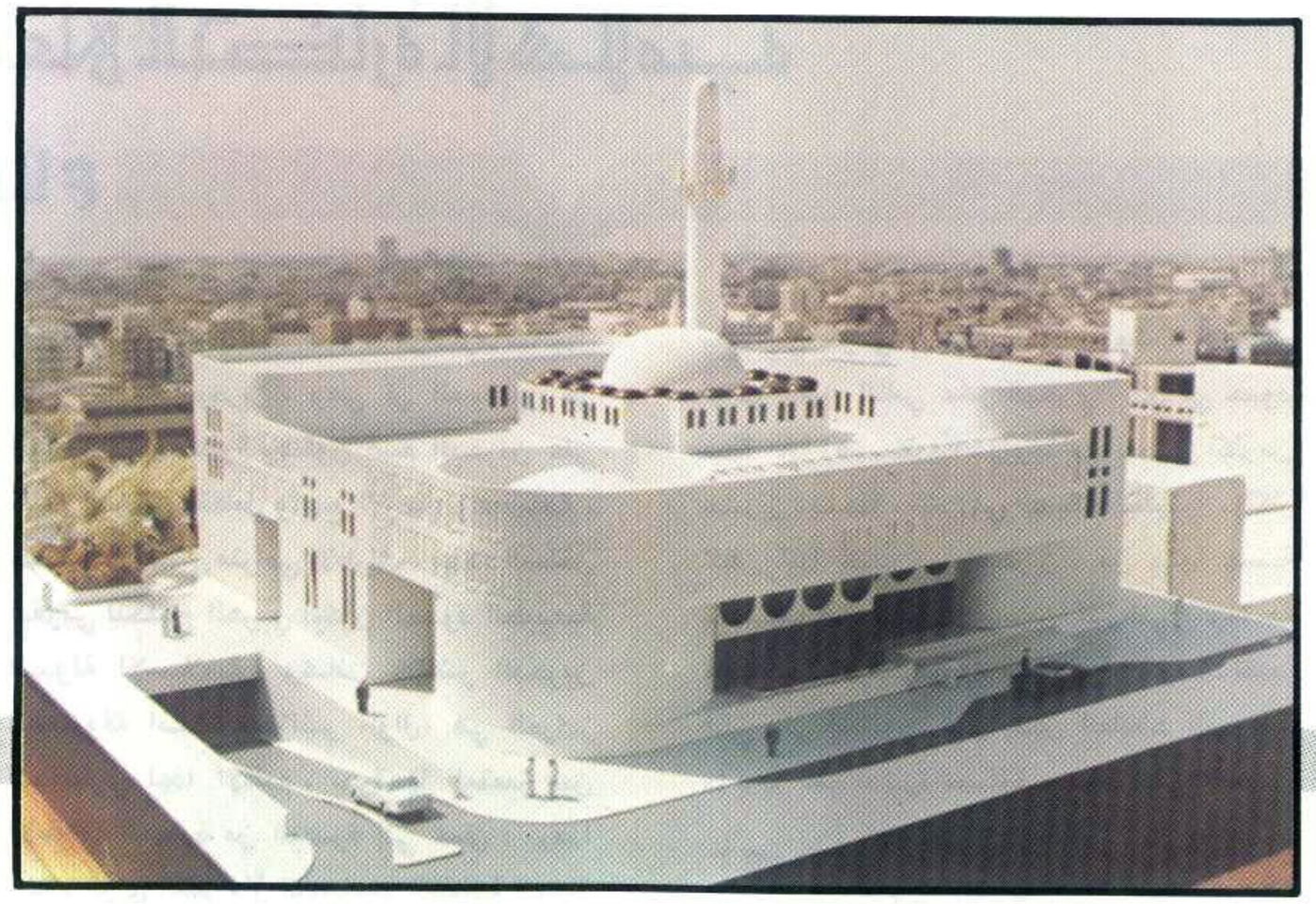

■ الدكتور عبد اللطيف كانو :
« بيت القرآن » مشروع حضاري إنساني للمسلمين كلهم ■

■ جزء من صفحة نادرة لمخطوط قرآني يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري ، كتب على الرق المصقول في مدينة القيروان قبل إدخال الإعجام : بخط عربي واضح سليم مكون من الخط المدني المطوّر مزيج من الخط المغربي الأوّل ■

الكتاب إلى أن أوّل من كتب **للرسول** ﷺ في المدينة **أبي بن كعب** ، وكان يكتب رسائل الرسول ﷺ **ايضًا ، وإذا لم يحضر دعا رسول الله** ﷺ « **زيد بن ثابت** » ، وروى الواقدي أن « **عبد الله بن الأرقم** » كان يكتب رسائل **الرسول** ﷺ ، وأنَّ **علي بن أبي طالب** كان يكتب عهود النبي إذا عهد وصلحه إذا صالح ..

أما عن المواد التي استعملها العرب في الكتابة فكانت المواد المتوفرة في شبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، فاستعملوا الحجارة والألواح الرقيقة وسعف النخيل والجلود ، **كما استوردوا أوراق البردي ، إلاَّ أنَّ الجلود كانت الأكثر شيوعًا لسهولة الكتابة عليها** ولتعدد مقاساتها حسب المحتوى المطلوب كتابته ، ولقوتها ومتانتها وخفّة وزنها ، وقد استعملت **جلود صغار الإبل** (الأحورة) **والغزلان والغنم** خاصة صغارها (**اليعامير**) وكانت تصنع بشكل رقيق أملس ، **ولهذا سميت بالرقّ** لنعومتها ورقّتها المتناهية ، وهي التي استعملت في رسائل **النبي** ﷺ **إلى الملوك والأمراء ، أما الحبر الأسود المستعمل فيها فقد يكون من نبات العليق الأسود أو من مادة الكربون الناتجة من الدخان المتراكم بعد خلطها بالماء ومادة لزجة لزيادة كثافتها ودرجة تماسكها** ، وبالنسبة للأقلام المستعملة في كتابة الرسائل النبوية الشريفة فكانت أقلام القصب المسننة برؤوس دقيقة ناعمة ، وقد عرف العرب هذا النوع من الأقلام ، وسموه بأسماء مختلفة منها : **الأرقم والقلم والمرقم والملقاط** ، وقُسمت سماكة السن بما يوازيها من سماكة الشعر ، أقلها (**الثلث الخفيف**) وكان ثماني شعرات ، وأسمكها (**الجليل**) وهو ما كان أربعة وعشرين ، وهو أغلظ الأقلام ...

المصاحف في البحرين :

هذا عن الرسائل النبوية الشريفة وما عرفته البحرين منها ، أما عن المصاحف التي عرفتها البحرين بعد ظهور الإسلام ، فهي تلك التي كانت تكتب في الأمصار على اختلاف رقعتها ، ولا بد أن

بيت القرآن نافذة على الحضارة الإسلامية

استطلاع

العديد من المصاحف الشريفة قد كتب ووثّق عن المصحف الذي أرسله **الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه** إلى منطقة البحرين ، خاصة وأن مسجد «**الخميس**» يعتبر من المعالم الأثرية القديمة في صدر الإسلام ـ وقد جُدد في عهد **الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه** ، ولا بد أنَّ هذه المصاحف كانت موجودة في المسجد وقريبة من الناس للدرس والقراءة والتبصر ...

أما رواية إرسال أحد مصاحف الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه إلى البحرين ، فقد جاءت في مخطوطة « كتاب المصاحف » لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (٣١٦هـ) وتقول :

« لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن ، كتب سبعة مصاحف ، فبعث واحدًا إلى مكة ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وآخر إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة ، وترك بالمدينة واحدًا »

والحقيقة أنَّ هناك ملاحظة لا بدّ من ذكرها هنا حول أهمية منطقة البحرين ، **وهي أنَّ المسلمين في العصر الأول كانوا يطلقون اسم البحرين على إقليم إسلامي متكامل واسع الأرجاء والمساحة ، خصيبُ الأراضي مترامي الأطراف ، يحدّه الساحل الغربي للخليج العربي ليكوّن الحدود الطبيعية للدولة الإسلامية ، وكانت جزائر البحرين المعروفة آنذاك بجزائر «أوال» هي المركز الحضاري لهذا الإقليم ، بموقعها المتميز بين الأطراف الممتدة من البصرة إلى عُمان ،** وهذا يساند الرأي القائل بأنَّ المصاحف العثمانية السبعة قد أُرسل واحد منها إلى البحرين ..

■■ وحول المصاحف التي كتبت في المنطقة . يقول الدكتور عبد اللطيف كانو :

ـ ... هناك العديد من المصاحف المخطوطة التي نسخت في الخليج ، وهي الآن في المتاحف والمكتبات الخليجية ، وعند الأسر ، إلَّا أنَّ أقدم هذه المصاحف يعود إلى حوالي (٣٥٠) **سنة** ، ومعظمها كُتب في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، **أي في حدود سنة ١١٨٠هـ** ـ تقريبًا ـ ويوجد في البحرين أكثر من عشرين مصحفًا ، كُتبت في المنطقة الخليجية ، وأكثر الظن أنها كتبت في البحرين ، من بينها خمسة مصاحف في متحف البحرين الوطني ، وخمسة مصاحف ضمن مجموعة « **بيت القرآن** » وهناك تقدير أوَّلي على أنه يوجد لدي بعض العائلات البحرينية ما يزيد على عشرة مصاحف نسخت في البحرين ما بين عامي **١١٨٠هـ ـ ١٢٩٠هـ** .. ويلاحظ أن العديد من المصاحف التي كتبت في منطقة الخليج لم يؤرّخ ، وأن العديد منها لم يسجل اسم كاتبه في آخر صفحة من المصحف ، أو مكان الكتابة ـ كاسم المدينة أو القرية ـ ويرجع السبب في هذه العادة المعروفة في المنطقة إلى أن الخطاط أو الناسخ كان يكتب المصاحف توجهًا وتقربًا إلى الله عزَّ وجلّ ، ومن هذا المنطلق كانوا يفضلون ألَّا تكتب أسماؤهم ، ومع ذلك فإنه بالإمكان التعرف على تاريخ المصحف عن طريق المقارنة والتدقيق في نوعية الخط ونوعية الورق والتجليد والحبر ، والألوان المستعملة في أوائل السور القرآنية وبعض العلامات الأخرى المميزة ، أما بالنسبة لمعرفة مكان النسخ فإنَّ هناك بعض الدلائل التي يمكن الاستفادة منها ، خاصة إذا عرف التاريخ واسم الخطاط .. وبصفة عامة ، فإنَّ هذه المعلومات والملاحظات ، وغيرها ـ مما يمكن الحصول عليه عن طريق الوصف والتحليل ـ تسجل وتوثق علميًا فور الحصول على المخطوطة ..

■■ تعتبر أنواع الخطوط وتطورها من الدلائل الهامة التي يمكن أن تعطي معلومات وفيرة وهامة عن المخطوطات وتاريخها ، كما أنها تعبر عن درجة الازدهار الحضاري والتقدم العلمي والفني في المراحل المختلفة : كيف ترون هذه العلاقة من خلال ما تعثرون عليه من مخطوطات عن تاريخ البحرين ؟

ـ **إنَّ جزائر البحرين كانت في طليعة المناطق العربية التي استعملت الخط العربي المطوّر والمعروف في القرنين الثالث والرابع للهجرة ،** على أحسن وجه من الإتقان والجودة ، ومع أنَّ المواد التي وصلتنا عن الكتابة العربية على الورق والرقّ ـ عن طريق التنقيب والحفريات ـ محدودة جدًّا ، إلَّا أنَّ ما وصلنا من كتابة حجرية يؤكّد أصالة الخطاط البحريني وإتقانه للكتابة المعروفة آنذاك ، من هنا يمكننا أن نقول : إنه كان في البحرين عدد من

■ صفحة نادرة من القرآن الكريم كتبت بالمداد الأسود على الرقّ المصقول بالخط الكوفي البدائي البسيط قبل إدخال الإعجام على الحروف العربية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الأول الهجري ، ويعتقد أنها كتبت في مكة أو المدينة ■

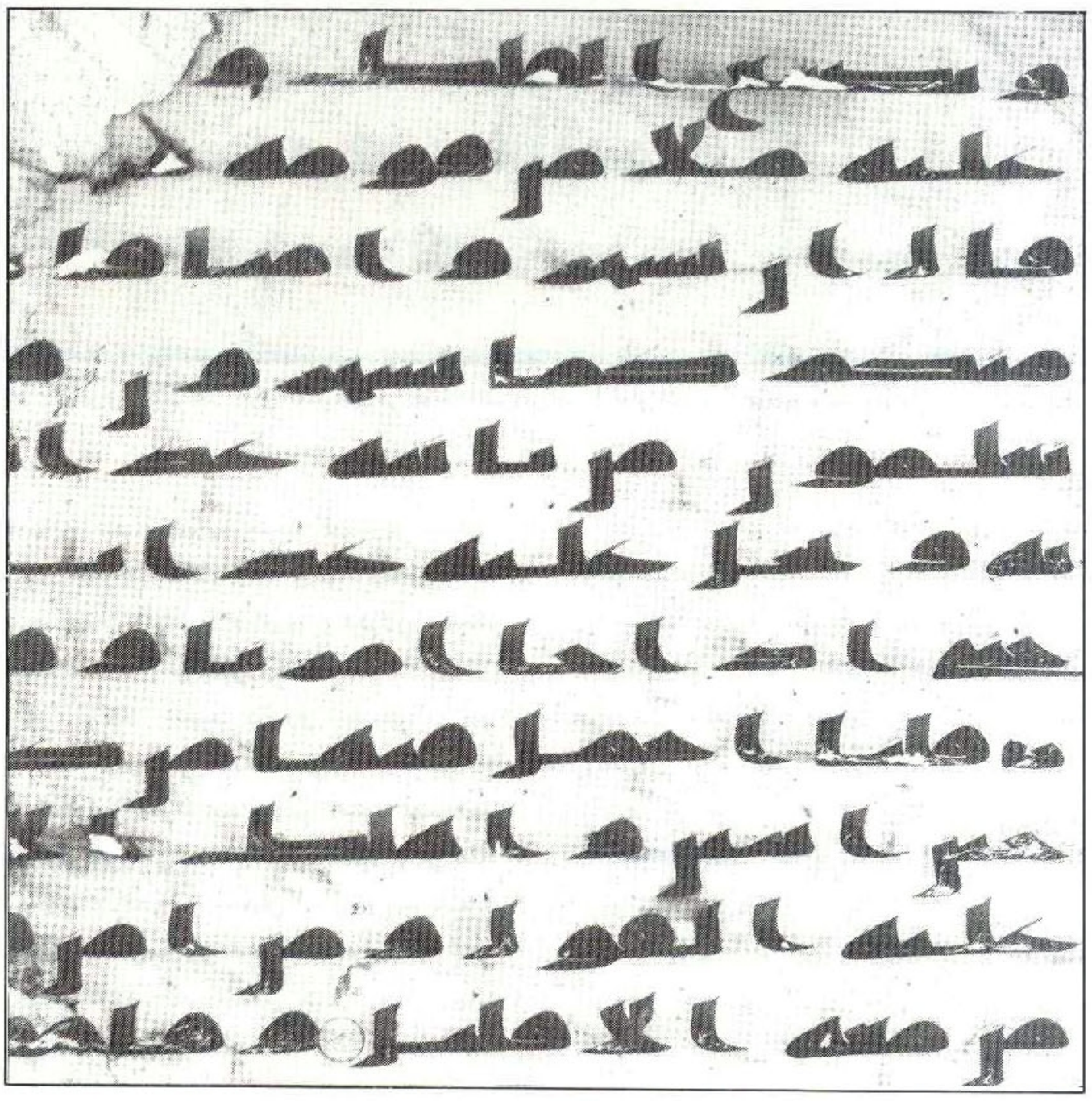

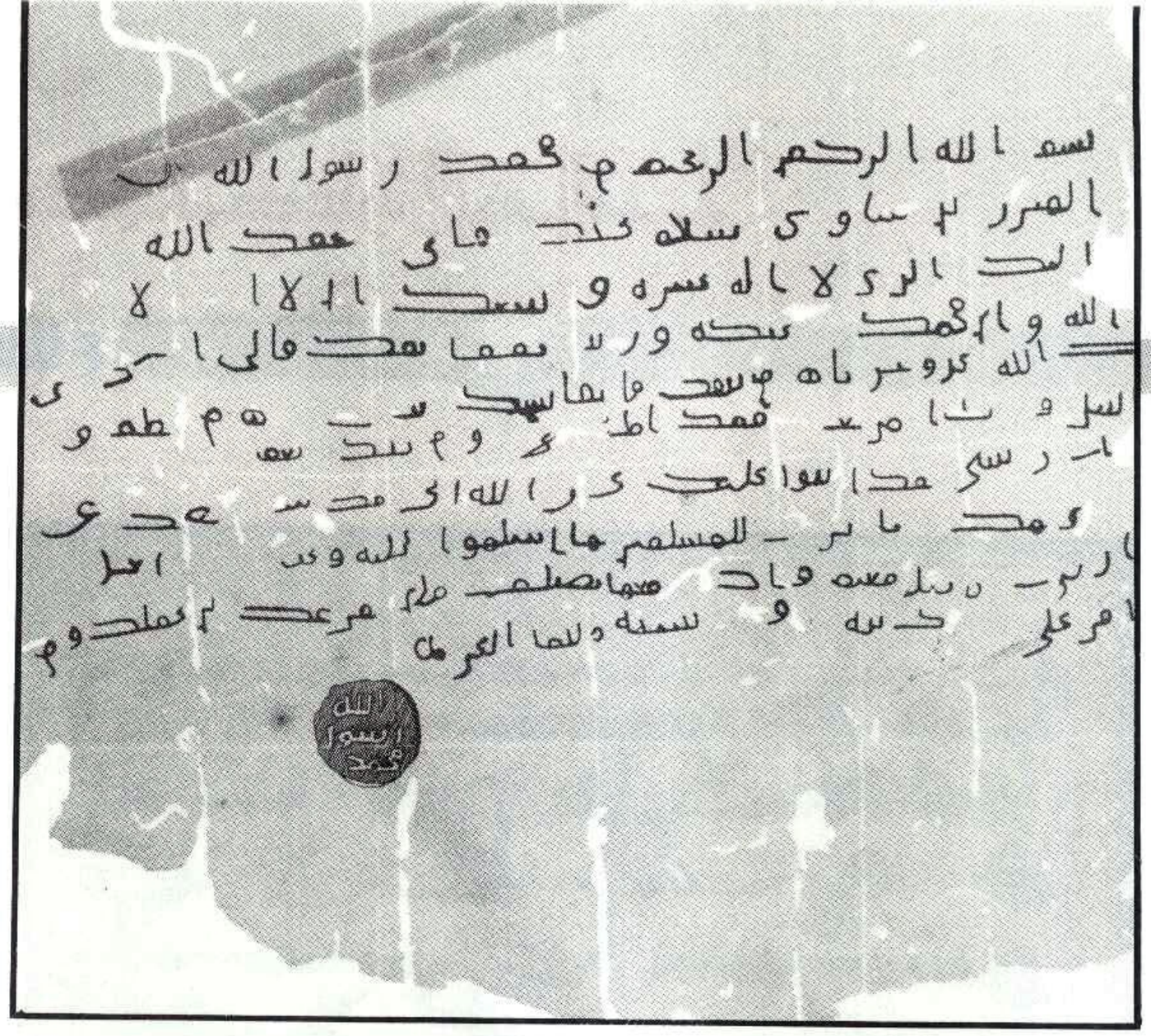

■ صورة الرسالة الشريفة الثانية التي بعث بها النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى - ونصها هو :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ؛ سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلـــه غيره وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّدًا عبده ورسوله أما بعد ؛ فإني أذكِّرك الله عزّ وجلّ فإنَّه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا لله ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ؛ ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية

محمـــد رســـول الله] ■

الخطاطين الذين برعوا في الكتابة وعاشوا في هذه المنطقة الآهلة ، وإنَّ العديد من العلماء والرحَّالة والكتَّاب والناسخين مرّوا بهذه الجزائر في الطريق من وإلى عاصمة الخلافة العباسية ، ولهذا ، فليس غريبًا أن نرىٰ للمدارس الإسلامية المختلفة صدىً حقيقيًّا في المنطقة ، وإنَّ الحفريات لا بدّ أن تظهر الكثير عن تاريخ البحرين الإسلامي ، خاصة الخطوط العربية التي استعملت في تسجيل الوقائع ..

الدراســات الناقصــة :

... هذا ؛ ومن الملاحظ أنَّ الدراسات التي كُتبت عن الخط العربي وتطوره - في إطار ما يسمى علم «**الباليوجرافية**» - لا تزال ناقصة ، وتعتمد - في معظمها - على مصدر واحد من مصادر الخط ، وهي مجزَّأة تتناول أطرافًا من الموضوع وتستند على النصوص النظرية وليس على النماذج الخطية ...

وحول هذه الملاحظات يرى **الدكتور صلاح الدين المنجد** ، تحت عنوان « كيفية دراسة الخط العربي » أو الطريق إلى وضع كتاب نهائي عن الخط العربي ..

*** أنَّ الخط العربي واحد في أساسه ، سواء أكان في المصاحف أو البرديات أو المخطوطات ، أو الكتابات على الأحجار وغيرها ، ولا بدّ - عند البحث في الخط العربي وتطوره - من الرجوع إلى جميع المصادر التي ظهر فيها ، ومقارنة النماذج المختلفة ذات الأسلوب الواحد ..**

* أنَّ الخط العربي انتشر في رقعة كبيرة جدًّا من العالم ، في الجزيرة العربيـة والشام والعـراق ، وفارس ، وخراسان ، وما وراء النهـر ، والسند ، وأرمينيا ، والقوقاز ، وديار بكر ، وآسيا الصغرى ، وأفريقيا (مصر والمغرب الأقصى والسودان) ، والأندلس ، وجنوبي فرنسا ، وصقلية ...

وبالجملة فإنه انتشر حيث انتشرت اللغة العربية نفسها ، وحيث رفَّت رايات الحضارة الإسلاميـة العربية ، واستطاع أن يتغلب على الخطوط التي كانت شائعة قبله في البلدان المفتوحة ، فيمحوها تارة أو يظهر عليها أحيانًا ، كما فعلت اللغة العربية نفسها في اللغات المحلية السابقة ، وعند البحث في الخط العربي لا بدّ من مراعاة الأساليب التي تميزت بها الأقاليم الإسلامية المختلفة وأن ندرسها ونقارن بينها ..

* أنَّ الخط العربي أصبح فنًّا بعد نشأته وتطوره ، فالخطاطون المسلمون كانوا جميعًا فنانين ، وإن تباينت مقدرتهم الفنية ورهافة أذواقهم ، وأنَّ كل خطاط كان يعكس في خطِّه البيئة والمجتمع الذي عاش فيه ، والحضارة التي شعَّت في عصره وذلك دون تعمد أو قصد ، **لذلك ، فعندما نبحث في تاريخ الخط العربي وندرس تطور أشكاله ينبغي ألاَّ نهمل شخصية الفنان الخطاط ، وأن نركّز على خصائصه وطابعه ، والمؤثرات المختلفة التي أثَّرت فيه حتى طبعت خطّه بطابع معين أو جعلته يطوّر ويبدع بأسلوب خاص .**

* أنَّ الأساس الأول الذي ينبغي أن تقوم عليه دراسة الخط العربي هو المشاهدة المباشرة للنماذج الخطية ، ومقايسة بعضها ببعض ، لاستنتاج قواعد الخط وخصائص الأساليب المختلفة ، لأنَّ الاعتماد على الكتب النظرية والتاريخية وحدها لا يوصل إلى نتائج فرضية ..

حـول « بيـت القـرآن » :

■■ ونعـود لنستكمل حـوارنا مـع الدكتور عبد اللطيف كانو ، حول « بيت القـرآن » ، البـدايـات ، والأهـداف ومراحلها ، ووسائل تحقيقها ؛ يقول :

— في القـديم ، كانت الـدراسات الخـاصة بالمصحف الشريف فنًّا من أروع الفنون الإسلامية ، وتخرّجت من أعطاف هذا الفن مجموعات من الفنانين الروّاد البارزين ، الذين أدهشوا العالم بما حقَّقوه من إنجازات رائعة في فنون الزخرفة الجمالية للمصحف الشريف ، وتخلّفت لدينا عبر القرون نماذج لا تزال مفخرة لهذا الفن العظيم ، فهناك مصاحف كُتبت بخطوط مجوَّدة ، وجُلِّدت بطريقة بلغت الغاية في الدقة والإبداع الفني ، وبأحجام مختلفة ، بعضها حقق الرقم القياسي في كبر الحجم ، وبعضها صغير جدًّا .. وتعتبر المصاحف التي وصلت إلينا عبر العصور المختلفة كنزًا أثريًّا في حد ذاته ، وإضافة إلى ذلك فهي مصدر عطاء لكثير من الدراسات والأبحاث ؛ سواء في الخط العربي أو فن الزخرفة الجمالية بأنواعها وألوانها الزاهية ، أو أنواع الورق والرقائق المستعملة ، وغيرها من المعطيات التي أفادت ولا تزال تفيد الدارسين في معرفة حضارة العصور الإسلامية وثقافتها .. وعلى الرغم من أنَّ الأوائل - كعادتهم - قدموا الكثير في هذا السبيل - مع قلّة إمكاناتهم - فإنَّ الجيل الحاضر - كما تلاحظون - قد أهمل هذا الفن ، وصارت حصيلة إنتاج الأجيال الأولى متناثرة في متاحف العالم ..

ومن أجل إحياء هذا الفن ، وحصر نتاجه وجمعه وعرضه ، كأحد أشرف الفنون ، فإنَّ « **بيت القرآن** » سيكون - بإذن الله - المكان المناسب لذلك ، حيث سيضم المصاحف والمخطوطات الإسلامية النَّادرة من مختلف العصور في سبع قاعات ، مقسمة إلى أقسام ، يمكن أن تستوعب أبواب التصنيف العلمي للمعروضات : **المخطوطات التي كُتبت بخطوط**

بيت القرآن نافذة على الحضارة الإسلامية

استطلاع

مختلفة ، والكتب المتعلقة بالقرآن الكريم ، سواء الترجمات لمعاني القرآن الكريم أو النماذج التي توضح تطور أسلوب طباعة المصحف ، ابتداءً من الكتابة باليد إلى الطباعة بالحجر ، حتى الطباعة بأحدث الأساليب التقنية ، واقسام الفنون الإسلامية المختلفة التي ارتبطت بالمصحف والمتمثلة في أسلوب الزخرفة الذي فرض نفسه في كثير من العصور على ريشة الفنان المسلم وتأثّر به كثيرًا ، سواء في الجداريات أو في النماذج الخشبية في المساجد أو المباني ، أو على المنسوجات ، كما أنَّ قاعة كبرى في « بيت القرآن » ستخصص ـ بإذن الله ـ لإقامة معارض دورية تعرض فيها أندر المصاحف الموجودة في متاحف العالم عن طريق التنسيق معها لعرض ما لديها في فترات متتابعة ، حتى يتمكن أصحاب الاهتمام في البحرين والخليج من الاطلاع على ما أبدعه الفنان المسلم عبر القرون ... كما سيضم « بيت القرآن » ـ بإذن الله ـ مكتبة قرآنية ، تحتوي على جميع أنواع الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن الكريم المختلفة بثلاث لغات : العربية والإنجليزية والفرنسية ، هذا بالإضافة إلى مدرسة لتحفيظ وتجويد القرآن الكريم ، ودراسة وتعليم القراءات السبع ، ومسجد ، وقاعة للمحاضرات والندوات المحلية والعالمية ...

إنه بالفعل من المشروعات الرائدة في العالم ؛ بفكرته الحضارية المتقدمة ، وتصميمه الفني المتطور .. وقد جاء تصميم « بيت القرآن » ـ الذي قام بإعداده المهندس الاستشاري **يوسف داود الصائغ** ـ واقعًا جديدًا في التكامل الصريح الواضح ، ليجمع بين الفن المعماري الأصيل لمنطقة الخليج ، والذي يمتزج ويتناسق مع حضارة الفن الإسلامي ، وبين الطرق التقنية الحديثة للبناء والتشييد ..

لذلك ؛ فإننا نلاحظ أن المشروع التزم بالتراث وخصائصه الأصيلة ، وارتبط بمقومات الزمان والمكان ، واستخدم المواد المحلية من البيئة المحيطة .. كما نلاحظ عدة اعتبارات فنية في تصميم البناء ، فقد تمّ تحديد الفضاءات الخارجية بشكل متميز ، بحيث تتدرج في المنسوب لتحقق للمبنى ارتفاعًا ملحوظًا يؤثر في المنظور الخارجي وعلاقته بالأبنية المجاورة .. أما من الناحية الداخلية فقد أُعدّ التصميم على أساس الاحتياجات الفعلية التي تحقق الأهداف وتوفر الخدمات والمرافق للقطاعات وللفئات كافة ..

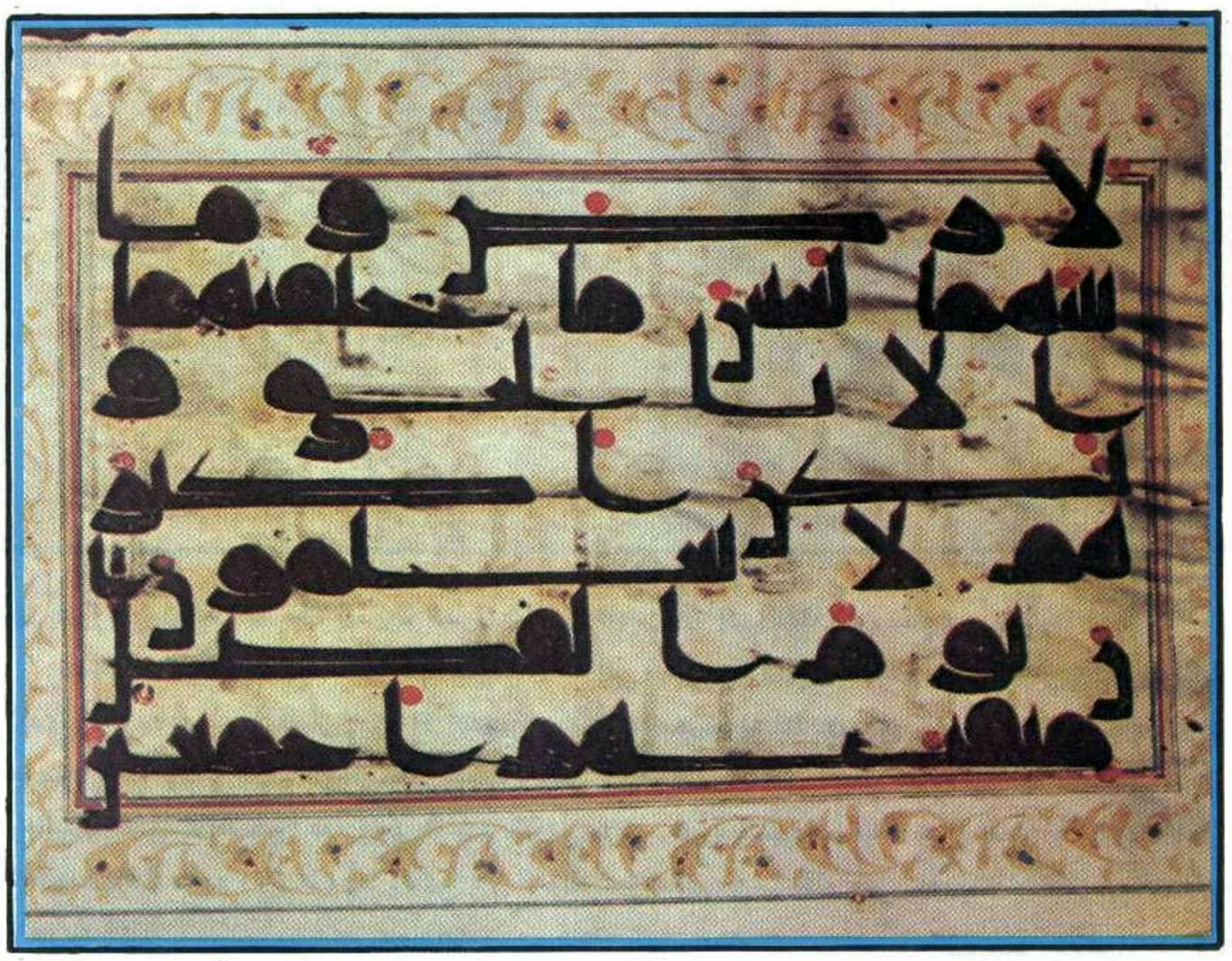

■ صفحة نادرة من القرآن الكريم «المعجم» كتبت على الرق المصقول بالخط الكوفي المطوّر ، استعمل المداد الأسود لكتابة الآيات القرآنية والتنقيط الأحمر للدلالة على الإعراب .. يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، ويرجح أنها كتبت في العراق أو الشام ■

■ مخطوط قرآني بالخط الكوفي المجوَّد ، وقد أدخلت عليها التحلية الذهبية في نهايات الآيات ، من القرنين الثاني والثالث الهجريين (المدينة المنورة) ■

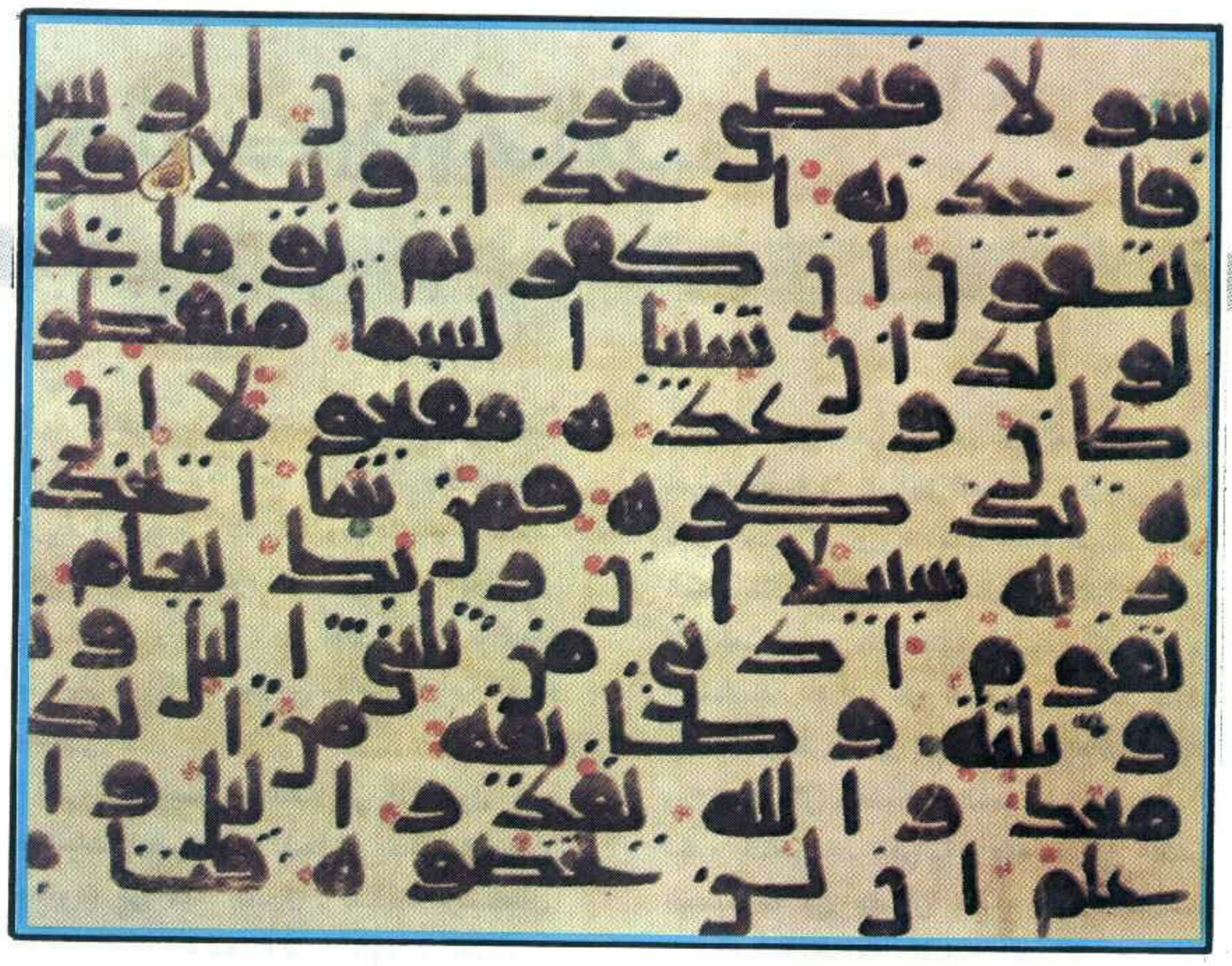

■ صفحة نادرة من القرآن الكريم بالمداد الأسود مع إدخال التنقيط الأحمر للدلالة على الإعراب ـ من القرن الثالث الهجري (العراق) ■

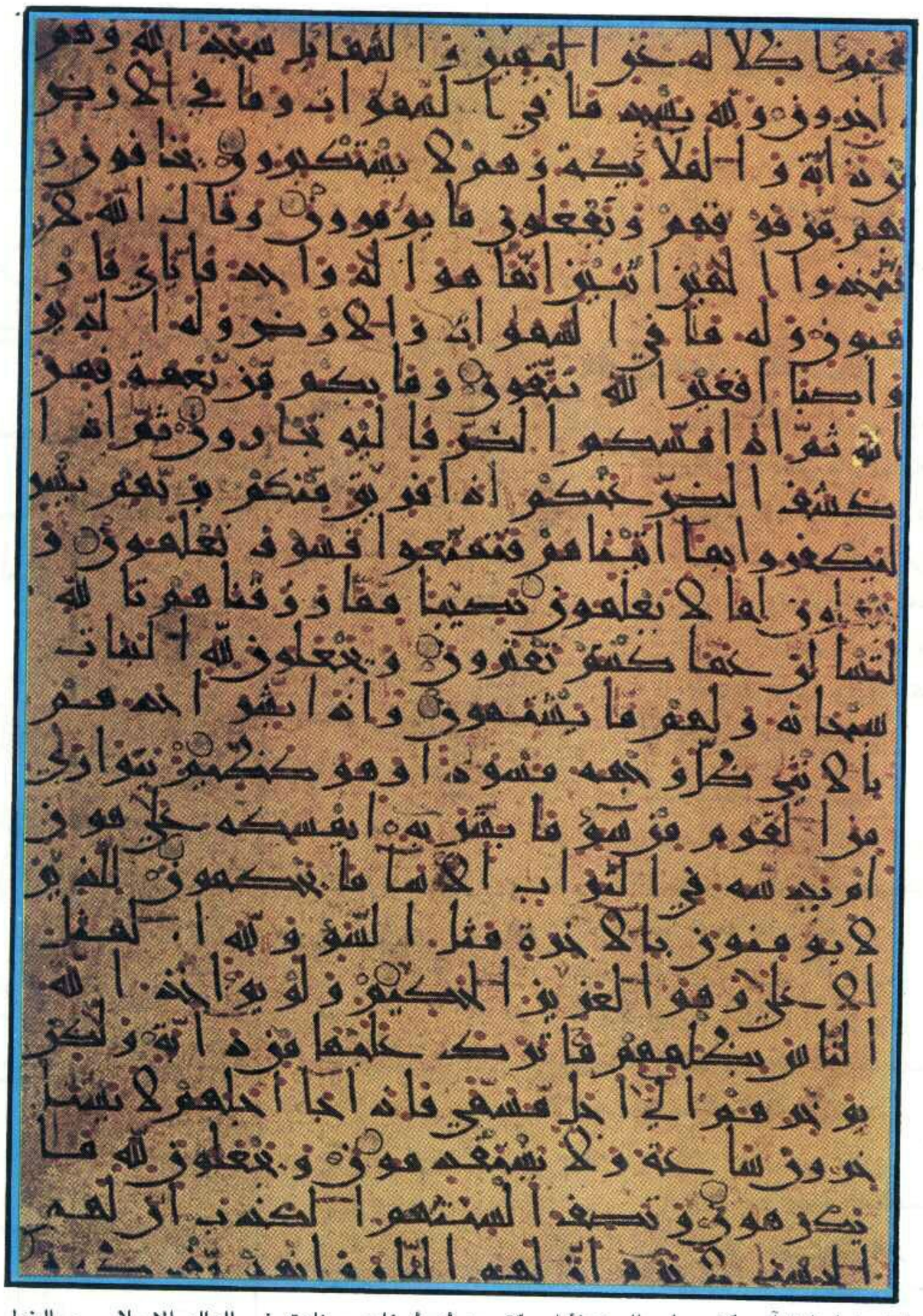

■ مخطوط قرآني كتب على الورق لأول مرّة بعد أن أدخلت صناعته في العالم الإسلامي ، بالخط الكوفي المطوّر ـ من القرن الرابع الهجري (العراق) ■

■■ ما هي المراحل التي انتهى إليها مشروع « بيت القرآن » حتى الآن ؟ ومتى ترون إمكانية أن يبدأ في أداء رسالته في خدمة الباحثين والدارسين والمهتمين بالقرآن الكريم وعلومه ؟

ـ يمكن أن نقول إن المرحلة الأولى من بناء « **بيت القرآن** » قد تمت الآن ـ بفضل الله ـ وبمعاونة أهل الخير من الأفراد والمؤسسات في جميع البلاد العربية والإسلامية .. وقد بدأت معالم المشروع تظهر بوضوح من جوانبه كافة ، وأصبح المبنى علامة بارزة في المنطقة المتميزة التي يقام بها ، وذلك بالنظر إلى الأسلوب المعماري الفريد الذي يقوم على أسس العمارة الإسلامية المتطور ، كما أن الآيات القرآنية المحفورة على الجدار الخارجي للبناء كتبت وفق الأصول الفنية للخط العربي المتطور ، وبزخرفة جمالية راقية بحيث تظهر كلوحات جدارية متميزة ، وهذه الآيات تعبر عن جلال القرآن الكريم ومكانته لدى المسلمين ، واستكملت بأسماء الله الحسنى ، مما أعطى جاذبية خاصة للمبنى لكل من يشاهده .

ولعلكم تعلمون أن **العمل في المشروع بدأ في اوائل عام ١٩٨٥** ـ أي منذ فترة وجيزة ـ خاصة وأنه يقوم على تبرعات المسلمين من أهل الخير في العالم العربي والإسلامي ، ومن حصيلة هذه التبرعات تم إنجاز إنشاءات المرحلة الأولى ، تحت إشراف اللجنة التأسيسية ، وهي اللجنة التي تضطلع بمهام جمع التبرعات وإقامة المشروع ، ثم تسليمه إلى مجلس أمناء من المتخصصين بإدارة مثل هذه المشروعات الحضارية ، وقد رأت اللجنة التأسيسية ـ وهي بسبيل أداء مهامها ، **ومن أجل دعم المشروع وإعطاء فرصة لمشاركة عدد كبير من أهل الخير ـ طرح « ميدالية » تذكارية ، تباع بمبلغ مائة دينار في مؤسسة النقد بالبحرين وبعض البنوك في البحرين والكويت** ، ومن ناحية أخرى ، وافقت اللجنة على فتح المجال أمام أهل الخير لتبني أحد عناصر مكونات المشروع والقيام بتمويلها وتنفيذها على أساس أن تحمل هذه العناصر أسماء من يقومون بذلك من مؤسسات أو أفراد أو أسر وعائلات ، عرفاناً بدورهم وتقديراً لجهودهم وعطائهم ، وقد تم بالفعل حجز عدد كبير من أقسام وعناصر المشروع ، ولم يبق إلا القليل ، الذي نأمل أن يتنباه أهل الخير قريباً بإذن الله ..

بيت القرآن نافذة على الحضارة الإسلامية

استطلاع

قنوات الاقتناء :

■■ نود أن نعرف شيئاً عن الوسائل التي استطعتم من خلالها اقتناء المواد المختلفة من نوادر المصاحف والمخطوطات والمطبوعات التي ستعرض في « بيت القرآن » ، وهل فكرتم بوسائل مستقبلية للحصول على مثل هذه المقتنيات المتنوعة والموجودة في أكثر من مكان في العالم ؟

— أود أن أشير ابتداءً إلى أنه منذ أن قامت فكرة « **بيت القرآن** » ـ وكان ذلك في بداية السبعينيات ـ تولدت الرغبة الصادقة في نفسي لجمع ما تيسر من المصاحف الكريمة من مختلف العصور ـ المخطوط منها والمطبوع ـ والتراجم المختلفة لمعاني القرآن الكريم بلغات عديدة ، بالإضافة إلى الكتب المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه ، وكذلك التفاسير والمخطوطات العربية والأوردية والفارسية وغيرها ، وإنه لشرف عظيم أن أقدم هذه النوادر هدية متواضعة كنواة أولى لبيت القرآن وأناشد ـ من خلال **الأمة** ـ جميع المسلمين تقديم ما لديهم من مقتنيات قرآنية لتدعيم المشروع .

أما من ناحية وسائلنا في الحصول على المقتنيات النادرة فإننا نلجأ إلى جميع القنوات المعروفة في هذا المجال ، فلدينا ارتباطات وعلاقات شخصية مع بعض الإخوة من المهتمين والمعنيين بالمخطوطات ، وقد أمكن الحصول على مخطوطات نادرة من خلالهم على مدى ١٥ سنة ، بالإضافة إلى الأسواق العالمية التي توجد بها المخطوطات القرآنية النادرة .. ولا بد أن أسجل ملاحظة هنا ، وهي أنه خلال الفترة الأولى ، كانت تواجهنا صعوبات في الحصول على المصاحف بسبب ندرتها خاصة في المناطق العربية ، ولكن في مرحلة تالية وجدنا أن أوروبا تعتبر مجالاً خصباً لاقتناء المخطوطات ، وخاصة المخطوطات القرآنية ، وقد تركز اهتمامي في تلك الفترة على جمع أكبر عدد من المخطوطات القرآنية التي كتبت على الرق في فترات مختلفة من القرن الأول إلى القرن الثالث الهجريين .. وبالإضافة إلى مخطوطات المصاحف النادرة بدأنا نجمع المطبوعات القرآنية ، **ولدينا أول النسخ المطبوعة من القرآن الكريم بطريقة صف الحروف ، وبطريقة الطباعة الحجرية التي كانت تستعمل في الهند وتركيا وإيران ، ومجموعات قرآنية مختلفة من بداية عهد الطباعة العربية إلى المراحل المتقدمة من الطباعة في سورية ..** وبالإضافة إلى المطبوعات القرآنية ، كان هناك اهتمام باقتناء وجمع تراجم معاني القرآن الكريم بمعظم اللغات الموجودة والمستعملة في العالم ، فلدينا ترجمات باللغات : الهندية والصينية واليابانية وغيرها ، ولدينا أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية ، واللغة اللاتينية .

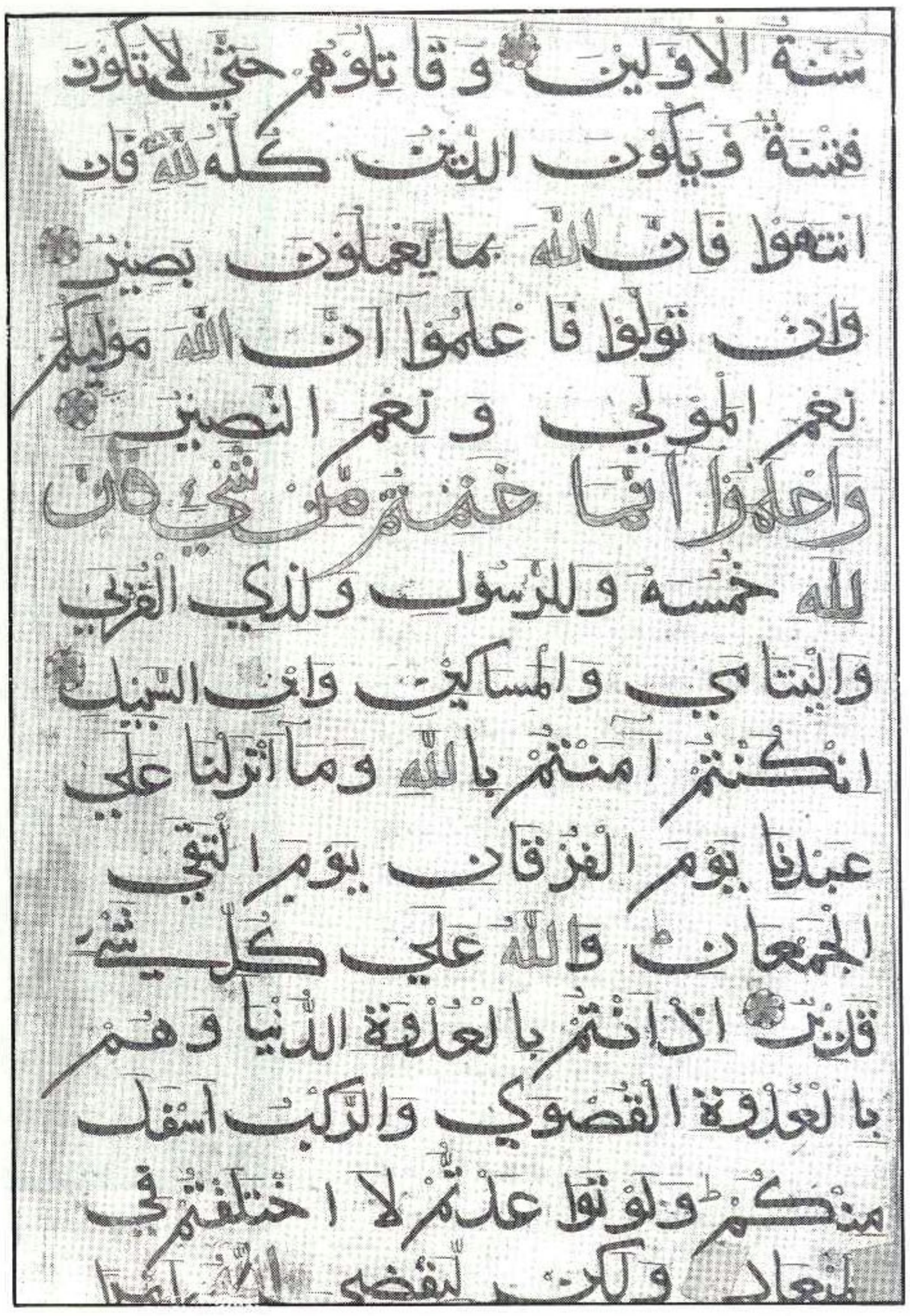

■ صفحة من القرآن الكريم ، كتبت في الهند بالخط البهاري . (القرن العاشر الهجري) ■

دليل بيت القرآن :

■■ لا شك أن كل مخطوطة أو مطبوعة تأتي من مكان ما ، لها تاريخ وأوصاف معينة ، وحتى لا تضيع هذه المعلومات الهامة أو تبقى قائمة في الذهن فقط ، ما هي الوسائل التي تعتمدونها لحفظ تاريخ المخطوطة ونوعية خطها من الناحية الفنية وكيفية كتابتها وما إلى ذلك من معلومات ؟

— عندما نتسلم المخطوطة أو القطعة النادرة نسجلها برقم معين ونحدد تاريخ تسلّمها ومقاسها ، ونوعية الخط واسم الكاتب ومكان كتابتها ، وإذا لم تتوفر هذه المعلومات بدقة فيمكن أن نربط بين المعلومات وأن نقارن بين المخطوطات لمعرفة الفترة الزمنية القريبة ، وأيضاً نسجل نوعية الورق والخط ، ووصفًا عامًا لها .. ويدخل في ذلك معلومات عن وجود نماذج لها في المتاحف والمكتبات في العالم وأسماء هذه المتاحف .

■■ نود بهذه المناسبة طرح فكرة إصدار دليل بيت القرآن في مرحلة قادمة ، ليس بالضرورة أن يكون دليلاً للزائر فقط ، بل يمكن أن يوزع على مراكز البحوث والدراسات والمراكز

الإسلامية وكليات الشريعة ويتضمن قراءة لبعض المخطوطات حتى يجذب المهتمين ، ويساعدهم على أن يخلصوا من خلاله إلى نتائج في مجال تطور الخط ـ على سبيل المثال ـ أو تطور المخطوط العربي ، أو الرسم القرآني ، أو يساعدهم في الحصول على نتائج مفيدة في معرفة أهداف المترجمين لمعاني القرآن الكريم .. ذلك أن وجود هذا الحجم من المراجع من عصور مختلفة تحت سقف واحد ، سوف يمكن الباحث من الدراسة والمقارنة والخروج بنتائج . ولذلك نرى أنه لا بد أن يكون العرض مزوداً بمعلومات موثقة وباللغات المختلفة .. وكما تعلمون فإننا نعيش الآن عصر الدولة العالمية ، حيث أزيلت الحواجز ، والسدود ، وأصبح العالم يرى بعضه بعضًا ، فلا يمكن أن يقيم الإنسان متحفاً ليرى نفسه من خلاله ، ولكن ليرى نفسه ويرى الآخرين ويجعلهم يرونه على حقيقته .. وقد يكون من المفيد أن تبدأ عملية تسجيل المعلومات وتستمر بانتظام حتى يأتي الوقت المناسب لإصدار هذا الدليل .

معلومات للدراسة :

ـ إننا نعمل بكل تأكيد لتنفيذ هذه الفكرة ونسجل المعلومات حول المقتنيات في السجل العام فور تسلّمها ونحفظها لتكون نواة للدليل ، وهي معلومات هامة ومفيدة بالفعل ، وعلى سبيل المثال لدينا مصحف مخطوط كتب في الأندلس ثم انتقل إلى المغرب ، وبقي فترة من الزمن ، ثم انتقل إلى الأزهر حوالي ستين سنة ، بعد ذلك انتقل إلى انجلترا حيث أمكننا أن نقتنيه من هناك ، أقول ذلك لكي أشير إلى أن هذه الرحلة التاريخية الطويلة مسجلة على غلاف المخطوط بالإضافة إلى معلومات عن السعر الذي كان يشترىٰ به كل مرحلة ، وقد سجلنا كل هذه المعلومات .. وهناك بعض المصاحف التي حصلنا عليها ، مدون بها أنها من كتابة سلطان من السلاطين وبخط معين أو أنها كانت موجودة في مكتبة خاصة بشخصية مشهورة ، مثل المصحف الخاص بالمهدي الزعيم السوداني المعروف وقد كتب هذه المعلومة القائد البريطاني « ماكسويل » أحد قواد الحملة البريطانية على السودان بعد مقتل « **جوردون** » وقد وجد « ماكسويل » هذا المصحف إلى جوار جثمان المهدي في مسجده بأم درمان ، وبعد أن دفن المهدي بقي المصحف ، فهدم « **ماكسويل** » المسجد وأخذ المصحف وسجل عليه هذه المعلومات التاريخية الهامة والمفيدة ، حيث تكشف عن أحداث في عصر معين ، وترتبط بفترة تاريخية ، وهذا المصحف يعتبر من المخطوطات النادرة .. وبهذه المناسبة أذكر أن أقدم المخطوطات القرآنية لدى « **بيت القرآن** » يرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري .

أما أحدث مخطوط فقد كتب في السودان سنة ١٩٥٦ ، والمهم في الأمر والنادر أيضاً أن صاحب هذا المخطوط كتبه وهو في عمر يبلغ مائة عام ـ أي في آخر مراحل حياته التي شاء الله تعالى أن يختمها بكتابة المصحف ـ ومن المعروف أنه كان يكتب المصاحف على مر الزمن ، حيث كانت هذه مهنته ، وهذا المصحف هو آخر المصاحف التي كتبها ، وهذه المعلومات مهمة من ناحية دراسة تطور الخط العربي في السودان على مدى تلك الفترة .

متحف للحياة :

■■ من خلال نظرة مستقبلية ، ما هي الطموحات التي تتطلعون إليها من وراء تأسيس هذا المشروع ؟ وكيف ترون إمكانية تحقيق أهدافه ؟

ـ من الأمور الهامة في الحقيقة أننا استطعنا أن ننجز المرحلة الأولى من المشروع ـ بحمد الله تعالى ـ وأن نجمع المصاحف المختلفة ـ المخطوطة منها والمطبوعة ـ وجمعنا ترجمات معاني القرآن الكريم بلغات كثيرة .. ويبقى أن نتطلع إلى كيفية الإفادة من هذا كله .. إن الفكرة العامة تدعو إلى أن نضع هذه المقتنيات النادرة في متحف ، وقد يكون المتحف هو المكان المناسب ؛ لكن منطلقنا وهدفنا يختلف عن هذه النظرة ، فالمتحف على كل حال يبقى جامداً ، ونحن نريد لهذا البناء أن يكون أكثر حياة من المتاحف المعروفة عند التأسيس ، فالقرآن الكريم لا بد أن يقرأ ويتلى ، ولا بأس أن يكون لدينا المتحف ، ولكن بشرط أن يكون قريباً من الناس ..

وقد كان هذا المنطلق هو الأساس في تصورنا لوحدات « بيت القرآن » منذ بداية تأسيسه ، فوجود المسجد هو العنصر الأساسي بالنسبة للمشروع ، وقيامه يشكل

الدكتور عبد اللطيف كانو

- من مواليد «المنامة» ـ ٢٦ رمضان ١٣٥٤هـ (٢٢ ديسمبر ١٩٣٥م) .
- درس في «المطوع» وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات .
- من أوائل البحرينيين الذين درسوا في انجلترا ، وتخصص في الهندسة الإنشائية والمدنية (١٩٥٧م) .
- حصل على درجة الدكتوراه (١٩٧٠م) من جامعة تكساس الأمريكية .
- عضو جمعية الإنشائيين البريطانية ، وجمعية المهندسين المدنيين الأمريكية .
- عضو مؤسس لجمعية المهندسين البحرينية والرئيس الأول لها ، وعضو سابق في المكتب التنفيذي لاتحاد المهندسين العرب .
- الرئيس السابق لجمعية البحرين للتاريخ والآثار (١٩٧٧م) .
- نظم المعرض الإسلامي الأول خلال رئاسته لجمعية البحرين للتاريخ والآثار .
- أقام معرض القرآن الكريم بالتعاون مع وزارة العدل والشؤون الإسلامية (رمضان ١٣٩٨هـ) .
- قدَّم عددًا من الأبحاث في المجال العلمي التخصصي وفي مجال الثقافة الإسلامية .. منها : السياسة السكانية الوطنية في البحرين ـ الهياكل في صناعة النفط البحري في الخليج ـ أنواع الواجهات الخرسانية ـ القرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ـ تراجم معاني القرآن ـ رسائل النبي ﷺ .
- وكيل وزارة الإسكان في دولة البحرين ـ وعضو المجلس الأعلى للبحث العلمي .

بيت القرآن نافذة على الحضارة الإسلامية

استطلاع

رابطة قوية مع قاعات العرض ، حيث يتردد الناس على المسجد لأداء الصلوات الخمس مما يبعث الحياة في المنشأة ويساعد على الاطلاع المفيد ، وبالإضافة إلى ذلك هناك مكتبة الأبحاث التي تحتوي على مراجع في قضايا علوم القرآن بالذات ، حيث إن مكتبات العلوم الإسلامية العامة بأنواعها المختلفة موجودة بكثرة .. وقد بلغ عدد هذه المراجع حتى الآن حوالي ٤٠ ألف مرجع قابلة للزيادة بإذن الله ، وهي باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ..

وهناك عنصر هام آخر لجذب الناس وهو قاعة العرض الدوري لمقتنيات المتاحف العالمية من مخطوطات المصاحف ، مثل المتحف البريطاني والمتاحف الشهيرة في الولايات المتحدة وأوروبا فضلاً عن المتاحف القائمة في البلاد العربية والإسلامية وذلك بالاتفاق معها وفق خطة عرض تحقّق الاستمرارية ، حتى يتبين الناس في هذه المنطقة أن مخطوطات قرآنية تاريخية نادرة موجودة في مكتبات ومتاحف العالم ، وحتى يستطيع الباحث والدارس الذي يصعب عليه الانتقال إليها في موقعها الأصلي بأنحاء العالم الاطلاع عليها هنا .. ومن عناصر الجذب الهامة التي تضفي الحياة على هذا المشروع مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، حيث سيتعلم فيها عدد كبير من الأبناء ـ بإذن الله ـ أصول التجويد والتلاوة الصحيحة وعلوم القرآن ..

■ مخطوط قرآني على الورق ، أدخل عليه الإعجام والحركات النحوية حسب النهج المغربي ـ من القرن السابع الهجري (فاس ـ المغرب) ■

■ مخطوط قرآني نادر على الورق بالخط المغربي المجوّد من القرن السادس الهجري (الأندلس) ■

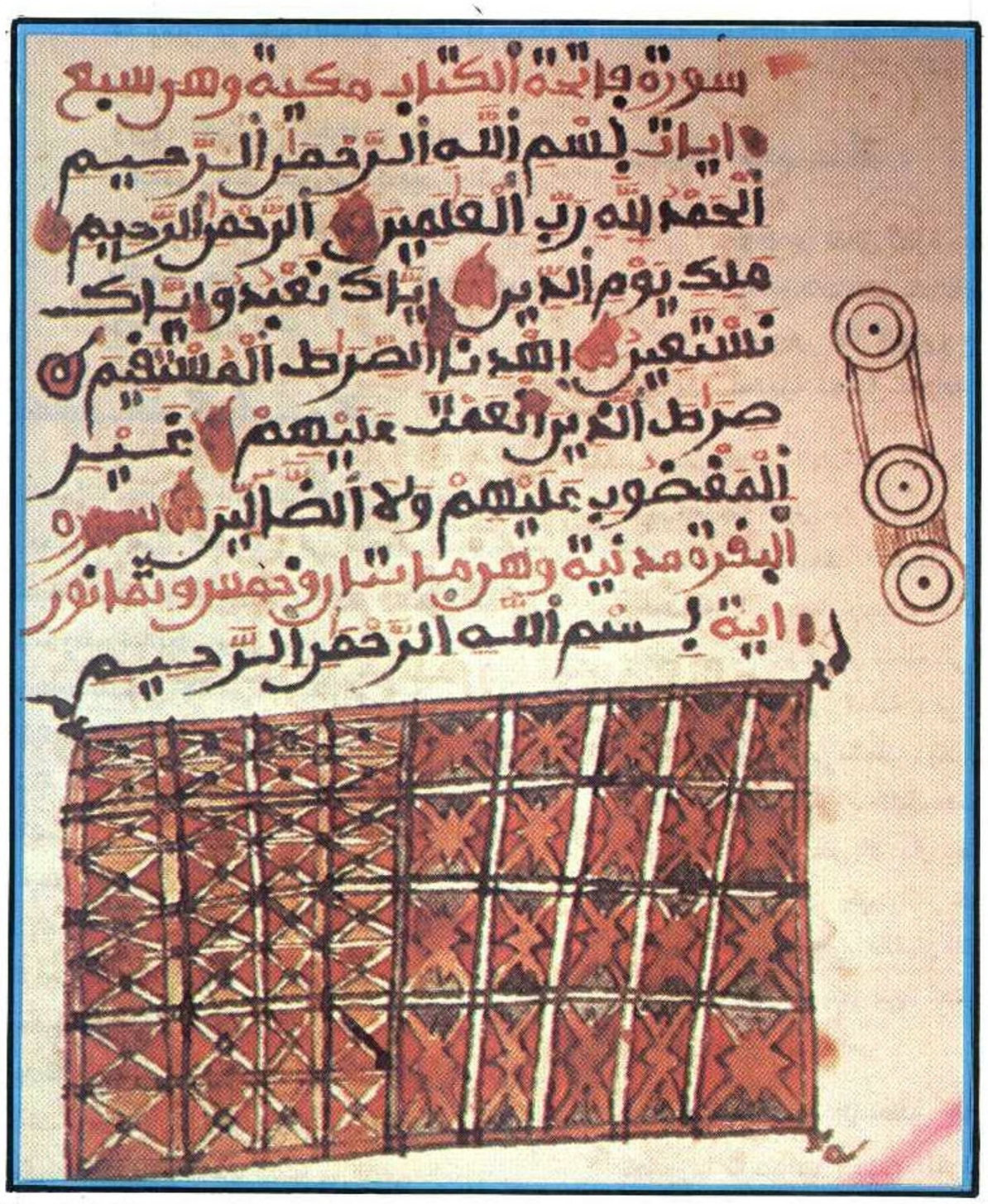

■ مخطوط قرآني بالخط المغربي السوداني ـ استعملت فيه الزخرفة الجمالية البسيطة والألوان النباتية البدائية ـ من القرن العاشر الهجري (السودان ـ نيجيريا) ■

مشروع كل المسلمين

وتبقى هنا ملاحظة لا بد من تسجيلها ، هي أن مشروع « **بيت القرآن** » مشروع كل المسلمين ، فهو لا يتبع مؤسسة أو دولة ، وإنما هو نابع من الناس ، ونود أن يكون هناك أكبر عدد من المشاركين ، بأقل مبلغ من المال ، المهم أن يرتبط الإنسان بالمشروع ، وأن يعتبر نفسه جزءًا منه ، **والحقيقة أن تبرعات الإخوة تأتينا من أنحاء العالم على أساس هذا الفهم ، ويبقى أن نشير إلى مساهمات أهل الخير**

■ مخطوط قرآني بزخرفة جمالية وتذهيب لامع برّاق بخط النسخ من القرن التاسع الهجري ■

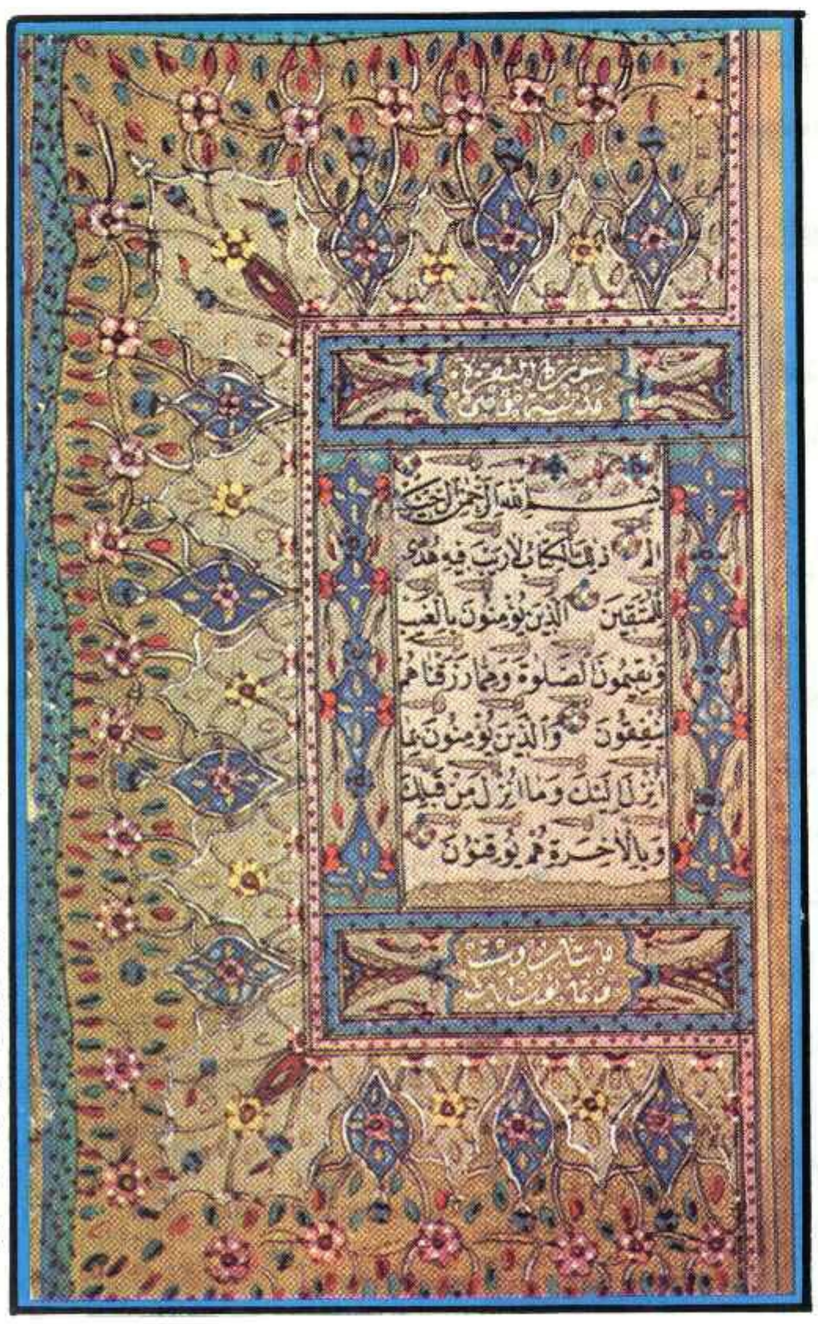

■ صفحة مذهّبة من مصحف مخطوط ، استعملت فيه التحلية الجمالية والألوان والأشكال الهندسية من القرن الحادي عشر الهجري (تركيا) ■

والإحسان على اختلاف مستوياتهم ، الذين شاركوا مشاركة فعلية وتبرعوا تبرعًا طيباً وساندوا هذا المشروع الحضاري ... والمهم في الموضوع أننا بدأنا الخطوة الأولى ، وصار لدينا البناء ، وصارت لدينا مجموعة من المصاحف النادرة تكبر وتنمو ، بدأت بخمسة مصاحف ، وزادت إلى عشرة ثم إلى مائة مصحف ، وإلى خمسمائة ، والآن لدينا حوالي ألفي « وحدة قرآنية » لأننا نعتبر الصفحة الصغيرة وحدة والمصحف الكامل أيضاً وحدة ..

وكل مكونة تعتبر أنموذجاً قائماً بذاته ..

هناك بطبيعة الحال خطوات كثيرة أمامنا ، أمامنا كيفية المحافظة على التراث النادر الأصيل الذي جمعناه ـ بفضل الله ـ وأمامنا أسلوب عرض هذا التراث ، وتوفير العناصر البشرية المتخصصة لإدارة المشروع ومتابعة أعماله ... **وأمامنا مشروعات مستقبلية** ـ إن شاء الله ـ **لطباعة القرآن الكريم وترجمة معانيه بدقة** ... ونحن نسعى إلى تحقيق ذلك خطوة خطوة بتوفيق الله تعالى ..

حقائق وملاحظات :

ويبقى أن نشير هنا إلى حقيقة أن الفنون الإسلامية ارتبطت عند الفنان المسلم ـ في جميع المراحل والعصور ـ بالقرآن الكريم من خلال التفنن في كتابة المصاحف بالخط العربي المتطور والمتنوع ، وأن كتابة المصاحف كانت فنًّا يتشرف به أصحاب المناصب الرفيعة ، خاصة في البلاط العثماني والسلاطين أنفسهم .. وأن القرآن الكريم الذي تستخدم اللغة العربية في كتابته وتلاوته هو أهم عوامل الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي .. وأن الخط العربي الذي دون به القرآن الكريم ظل الخط الرسمي للدولة الإسلامية المنتشرة تاريخيًّا في مختلف أنحاء العالم ، واستخدم في فنون العمارة والمنسوجات والفخار والنقوش الخشبية والحجرية والمصنوعات المعدنية والمجوهرات ، وطور الخط العربي باعتباره فنًّا قائمًا بذاته من أرقى أشكال الفن الإسلامي .

وأخيراً نسجل قول فضيلة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين ـ رحمه الله ـ حول فضل الإسلام على اللغة العربية :

طلع الإسلام على العرب ، وفي هدايته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون ، بل في هدايته ما لم تف اللغة يومئذٍ بالدلالة عليه فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماءً .. إن القرآن الكريم والحديث النبوي ، قد سلكا في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ ، ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها ...